

مظاهر الانتقال من العصر الصنهاجي إلى العصر الحساني في موريتاني (دراسة في نصوص القرنين 15-16م)

- اسم ولقب المؤلف: احمد احمدو سيدات
- جامعة نواكشوط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية قسم التاريخ والحضارة
- باحث في مرحلة الدكتوراه، وحدة: المجال الصحراوي الساحلي: التحولات التاريخية والديناميكيات الاجتماعية.
- البريد الإلكتروني a.a.sidatt@gmail.com

تاريخ النشر:

تاريخ القبول: 2024/11/24

تاريخ الارسال: 2024/11/16

2025/01/06

الملخص:

رغم الجهود التي قام بها المعهد الموريتاني للبحث العلمي منذ تأسيسه سنة 1974، فإن كثيرا من المخطوطات الموريتانية ما يزال حبيس رفوف المكتبات الأهلية المتناثرة في قرى البلاد وأريافها النائية، بعيدا عن متناول الباحثين، ومن دون رقمنة أو تصنيف، بما في ذلك بعض الوثائق المصدرية الهامة، كالتى بين أيدينا الآن.

نتحدث هنا عن وثيقة نادرة من حيث مضامينها وأغراضها وتاريخ تأليفها، حيث كتبت في القرن 15م بولاتة أو قريبا منها، ونسخت في توات خلال القرن الـ17م، فكانت أقدم مؤلف اكتشف حتى الساعة، يتناول التاريخ والأنساب في مرحلة الانتقال من العصر الصنهاجي إلى العصر الحساني بموريتانيا الحالية، ويقدم إشارات تاريخية وديموغرافية عن القرنين 15 و16، تكشف بعض أوجه ومظاهر ذلك التحول، وقد تساهم في سد بعض الفجوات في مرحلة الفراغ أو الصمت الوثائقي التي تميزت بها تلك الحقبة من تاريخ البلاد.

الكلمات المفتاحية:

المعهد الموريتاني للبحث العلمي، المخطوطات الأهلية، الوثائق المصدرية، التاريخ والأنساب، العصر الصنهاجي، العصر الحساني، الفراغ الوثائقي.

Abstract:

Despite the efforts made by the Mauritanian Institute for Scientific Research since 1974, many indigenous manuscripts remain out of reach for researchers and have not been digitized or classified. This includes some important source documents, one of which was written in the 15th century in Oualata or its vicinity, and copied in Touat during the 17th century. It is the oldest discovered manuscript to date, covering history and genealogy during the transition from the Sanhaja era to the Hassani era in present-day Mauritania. It provides historical and demographic insights into the 15th and 16th centuries, revealing aspects of this transformation. It may contribute to filling some gaps in the period of documentary silence or voids that characterized that era in the country's history.

Keywords:

Mauritanian Institute for Scientific Research, indigenous manuscripts, source documents, history and genealogy, Sanhaja era, Hassani era, documentary gap.

تقديم:

يكاد الباحثون المهتمون بالحقبة الوسيطة من التاريخ الموريتاني يجمعون على مسألتين:

الأولى: أهمية التنقيب في مرحلة القرنين الرابع عشر وتاليه؛ لاستكشاف بعض الجوانب غير المعروفة عن هذه الحقبة، ويتطلب ذلك جمع وتنسيق المعلومات المتناثرة لتشكيل صورة متكاملة قد تساعد في طرح أسئلة جديدة، والإجابة على أسئلة أخرى؛ لا تمكن الإجابة عليها دون جمع شات الذكرة والتنقيب في الوثائق المصدريّة القليلة واستقرائها.

الثانية: قلة المصادر المكتوبة خلال هذه المرحلة، فهي فترة شبه صامتة، أو فترة الفراغ الوثائقي كما يسميها بعض الباحثين، وإن كانت صفة الصمت هنا لم تعن بالضرورة الكف عن الفعل والتفاعل وديمومة التطورات واستمرار التقلبات داخل المجال، بل إن بعض الشواهد التاريخية تشير إلى أنه كان عصر التحولات الاجتماعية والثقافية الكبرى كما يتضح من خلال النصوص القليلة التي احتفظت بالعديد من أسماء أعلام الأشخاص والأماكن والقبائل والمجموعات والأشخاص، وسلاسل الأنساب قبل تعربها وتحور بعضها، فهل ستساهم مثل هذه المصادر في رصد بعض تجليات ومظاهر الانتقال من العصر الصنهاجي إلى العصر الحساني؟

نتحدث هنا عن مؤلف نادر كتب في ولاتة أو قريب منها خلال القرن 15م ونسخ في توات خلال القرن 17 وكان ظهور أول نسخة منه في مركز أحمد بابا التنبكتي سنة 1975⁽¹⁾ قبل اكتشاف أصله أخيراً بإحدى واحات تكانت الموريتانية سنة 2015. والتأليف في جملته نصوص متنوعة في التاريخ والأنساب، تعطي إشارات تاريخية وديمغرافية عن القرنين 15 و16 مما يجعلها جديرة بالدراسة والاستقراء. وقد تساهم في ر في موريتانيا.

(1)- هي التي عمل على دراسة جزء منها الباحث الإنكليزي: توماس ويتكومب (Thomas Whitcomb) ونشرها في دراسة بعنوان:
"New evidence on the origins of the Kounta" B.S.O.A.S. XXXVIII, 1975, Part I, Part II (Th).

I. المحور الأول: التعريف بالمؤلف

أ- اسمه ونسبه: أحمد (أو: سيدي أحمد) ابن الحاج عبد الله بن سيدي أحمد بن سيدي محمد الرقاد بن سيدي أحمد الفيرم ابن سيدي أغمر الشيخ ابن سيدي أحمد البكاي بن سيدي محمد الكنتي الكبير. وهو الابن الوحيد – ربما - لأبويه سيدي الحاج عبد الله وفاطمة بنت سيدي علي بن سيدي أحمد (بن سيدي محمد الرقاد بن سيد أحمد الفيرم بن سيد أغمر الشيخ) بن سيدي أحمد البكاي بن سيدي محمد الكنتي الكبير⁽¹⁾.

ب- مولده ونشأته: لا تمدنا المصادر بكثير من الأخبار عن سيرته الأولى ومراحل طفولته غير أنه نشأ وتربى في كنف والديه سيدي الحاج عبد الله وفاطمة بنت سيدي علي، في واحد من بيوتات العلم والسيادة في الحافة الشمالية من الصحراء الكبرى وتحديدًا في الواحات الصحراوية بإقليم اتوات، حيث كان لجدّه وأبناء عمومته مساهمة كبيرة في ازدهار العلوم الشرعية ونشر الثقافة العربية الإسلامية وتأسيس الزوايا الصوفية وامتد تأثيرهم من توات إلى أزواد حيث انتشرت أسانيدهم لاسيما في عهد الشيخ سيدي المختار الكنتي، وقد أورد ابنه الشيخ سيدي محمد الخليفة في كتابه الطرائف والتلائد كثيرا من مناقبهم وترجم لعدد من علمائهم وصلحائهم.

ج- حياته وبعض رحلاته

تاريخ ميلاد المؤلف غير معروف ولا تاريخ وفاته، غير أن التواريخ المذكورة لبعض أجداده وأبناء عمومته، وبعض الزيارات التي قام بها، تعطي إشارات جد هامة يمكن من خلالها تخمين المرحلة التي عاش فيها، وذلك من خلال المقارنة بين تواريخ وفيات بعض أبناء عمه المفترض أنهم جيله: كسيد الأمين بو انكباب (ذو النقاب) بن سيدي غمر (توفي: 1704/1116م) وأخيه سيدي أحمد لخليفة (توفي: 1692/1092م).

فتواريخ وفيات بعض معاصره تعطي فكرة تقريبية عن فترة حياته، والتي كانت نهايتها باعتقادنا ما بين أواخر القرن الحادي عشر الهجري ومطلع تاليه، فمن المؤكد أنه كان حيا عام: 1672/1082م، وقد بلغ مرحلة النضج، بدليل الزيارة التي قام بها للمولى إسماعيل⁽²⁾ حيث يذكر الشيخ سيدي محمد (الخليفة) بن الشيخ سيدي المختار الكنتي في كتابه الطرائف والتلائد أنه ورد على المولى إسماعيل بن المولى علي ((... فأدناه وأكرمه وأجلسه معه على سريره، ووزراؤه وأعيان خاصته مُحَدِّقُونَ به، وكان من عادة الداخل على السلطان بالغرب تحفية الرجل وتعزية الرأس والانحناء عند الدخول إلى مجلس السلطان، وهو دخل ولم يخلع

(1)- أورد المؤلف اسم والدته استطرادا في سياق الحديث عن أنساب مجموعته، ولم يذكر إخوة له. ومن الواضح اهتمامه هو الآخر بالقرابة من جهة الأمهات، فرغم التفصيل الذي قدم عن آبائه وأجداده إلا أنه أولى اهتماما كبيرا بأنساب أمهاته وأمهات أبيه وجده، تماما كما فعل جده الخامس الشيخ سيدي أحمد البكاي.

(2)- المولى إسماعيل [1082هـ/1672م - 1139هـ/1727م] بن محمد الشريف بن علي الشريف المراكشي الحسني العلوي، أبو النصر، المظفر بالله، توفي أخوه (بمراكش سنة 1082هـ/1672م) فبيع له بمكناسة، ووفد عليه أعيان فاس ببيعتهم. للمزيد راجع: محمد الصغير ليفرنسي: روضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف. تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، الرباط، المطبعة الملكية، ط2، 1995.

نعلًا، ولا أعرى رأسًا، وما انحنى، بل سلم سلام السنة، فابتدره الشرط، فأشار إليهم الأمير أن أمسكوا فإن الرجل أجل ممن يطالب بالخلع والتعرية والانحناء، فلما فرغ من سلام الأمير وإنهاء ما أتى به جعل ينحس إلى جنب الأمير، ويميل به النعاس حتى يضرب برأسه منكب الأمير، فيقول الأمير لوزرائه: انظروا إلى هذا الذي تعتبون عليه في التعرية والانحناء، لا شغل له بما أنتم فيه، ولا لفتة له إلى ما أنتم عليه من سلطان أو سطوة، بل أنتم في واد وهو في واد! فأكرمه، وأجازته بجائزة سنّية، وكتب له مطبوعا وقع فيه بتحرير كناتة ومواليها من جميع المطالب السلطانية⁽¹⁾.

وهذه الرواية المنقوبة الطويلة لا تخلو من بعض الدلالات الهامة فهي لا تبرهن على مكانة الرجل وحظوته لدى السلطنات المجاورة فحسب؛ بل تؤكد أنه كان من أكابر قومه وأعيانهم⁽²⁾ وربما من أسنهم بدليل المهام التي أوكلت إليه، كما تؤكد أن فترة حياته شملت عام: 1672/1082م. وإن كنا نرجح أنها لم تتجاوز مطلع العام: 1716/1129م، فقد شهد هجرة (الرقاقة) البطن الذي ينتمي إليه المؤلف من الساقية الحمراء وتوات باتجاه أژواد، وهو ما لم يشر إليه تصريحًا ولا تلميحًا الأمر الذي يرجح أن يكون قضى قبل ذلك.

II. المحور الثاني: وصف النسخ وتقييمها

1- نسخة أبو الأعراف:

مصدرها مركز أحمد بابة التنبكتي، وعدد أوراقها 22 كتبت بخط واضح وهي في الأصل لأحمد بن مبارك بن برك بن محمد الملقب "بلعراف"⁽³⁾ من أيت موسى أو علي التكني الواد نوني، وهي ذاتها التي عمل على دراسة جزء منها الباحث الإنكليزي توماس وايتكومب سنة 1975 بالتعاون مع المؤرخ الراحل المختار بن حامدن ونشره في دراسة

(1)- يقول الشيخ سيد محمد بن الشيخ سيد المختار: ((... ثم حكى [يعني والده] عن بعض المشايخ من أبناء الشيخ سيد أحمد بن الرگاد- وأراه سيد أحمد بن الحاج أنه ورد على مولانا إسماعيل...))... للمزيد انظر الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار "الطرائف والتلائد في كرامات ومناقب الشيخين الوالدة والوالد" تحقيق: يحيى بن سيدي أحمد، الجزائر، دار المعرفة 2011، ص421.

(2)- حيث ذكره الشيخ سيدي المختار (الصغير) بن سيدي محمد (الخليفة) بن الشيخ سيد المختار في حديثه عن علاقاتهم المتوارثة مع الملوك العلويين ((...من لدن أوائل الآباء الأقدمين أيام كانوا بـ:توات و الساحل، إذ كانوا كلما هلك خليفة من الإسماعيليين وقام من بعده ولي أمره وعهده أوفدوا عليه عينا في وفد منهم فبايعوه عنهم وعن من وراءهم...)). (المختار بن محمد بن المختار بن أحمد، (رسالة إلى الأمير أحمد بن محمد بن أبي بكر) جواب عن ستة أسئلة فقهية، المخطوط رقم: (ح14ب) بالمكتبة الوطنية الجزائرية، ص 12).

(3)- أحمد "بلعراف" هكذا يثبتها لنفسه، ولد في أگليم سنة 1864 وقدم إلى تنبكت سنة 1907 وفيها أسس خزانته وجمع العديد من الكتب شراء واستنساخا خلال رحلاته من أگليم مرورا بشنقيط قبل إقامته النهائية في تنبكت. أحصى بخزانته سنة 1945 قرابة 2076 مخطوطا قبل وفاته سنة 1955، له مؤلفات عديدة من أشهرها كتابه إزالة الريب والشك والتفريط في ذكر المؤلفين من علماء التكرور والصحراء وشنقيط، وقد عرف نفسه في مقدمة بعض كتبه فقال "ساقني القدر إلى سكنى تنبكت وقبل ذلك سكنت مدة في شنقيط ورأيت كثيرا من فضلاء أهلها وأنا والحال أني لست بعالم ولا من أهل العلم ولكنني أحب العلم وأهله، وكانت مدتي بتنبكت أكثر وبها أشهر...، محمود بن محمد دب بن المرحوم فراج سيد الأرواني التنبكتي، معلومات عن خزانة أسرة بولعراف، مخطوط بحوزتنا صورة منه.

بعنوان: ("New evidence on the origins of the Kounta" (Th)) الشاهد الجديد على أصول كنته.

2- نسخة أهل الشيخ ولد أن

عدد أوراقها: 18 بحجم أصغر وخط أقل جودة، لكن مضمونها أكثر تنوعاً ويبدو من شكلها أنه الأقدم عهداً مقارنة بسابقتها، ومصدرها مكتبة محمد ولد الشيخ ولد أن⁽¹⁾ بقرية الزويرة، من الواد الأبيض، في بلدية إنيميلان بولاية تگانت. وقد تأكدنا بفضل الحصول عليها من تتابع الصفحات رقم: 7-8-17-18-11-12-13-14-15-16،⁽²⁾ من نسخة بو الاعراف، وكذا الصفحات رقم: 19-20-21، ومن الواضح أن الصفحتين رقم: 7 ورقم: 8 هما نفس الصفحة مع زيادة يسيرة في الأخيرة، أما الصفحة رقم: 10 فهي عبارة عن ملزمة لإحدى قوافل الملح التجارية، وقد وردت بها أسماء شخصيات مهمة مثل العالم الغلاوي: الشيخ بن حامني، أحد القضاة المعروفين بشنگيط.

3- القيمة التاريخية:

تكمن الأهمية التاريخية لهذا المؤلف في تقريبيها الفجوة - إلى حد ما - بين الكتابات المبكرة للمؤلفين العرب من خارج المنطقة والكتابات المتأخرة التي عرفها المجال بعد ذلك ابتداء من القرن التاسع عشر وتاليه، أي أنها- أو بعضها على الأقل- كتب في مرحلة الفراغ الوثائقي، وهي بذلك تكون من المصادر النادرة لمرحلة ما زالت توصف من بعض المؤرخين والباحثين بـ: "الحلقة الغامضة أو المفقودة من تاريخ المجال". ولا شك في أن سبق تأليفها وقيمة مضامينها أمور جعلتها موضع اعتماد بعض المؤلفين في تاريخ المرحلة حيث نقل عنها الشيخ سيدي المختار الكنتي الكبير في كتابه المنة في اعتقاد أهل السنة، وابنه الشيخ سيدي محمد (الخليفة) في مؤلفيه الرسالة الغلاوية والطرائف والتلائد.

(1)- محمد بن سيدي الامين بن الشيخ بن أن، الكنتي لأثرگي ولد حوالي: 1926 وتوفي سنة 2004م، درس على والده سيدي الامين دراسة أولية حتى أنهى القرآن ثم أعاد قراءته على محمد محمود بن سيدي المختار التتواجيوي بعد وفاة والده. انتقل من مضارب قومه بتكانت فحط الرحال بأفطوط عند محمد بن الديه البوسيفي، وهناك درس بعض المتون الفقهية وعلوم التصوف، ولأزمه حتى مات فاعمل الرحلة من جديد إلى تكانت وأقام في واحدة من أهم محاضر أهل ابات آنذاك وهي محطرة محمد ابات بن عبد الدائم القلقي، الذي كان من متقني مختصر خليل معنى ومتنا عنه أخذ صاحب الترجمة بشهادة العالم الجكني أحمد سالم بن حين. جزء من مقابلة أجريتها مع ابن صاحب الترجمة القائم على مكتبته: امحمد بن محمد بن الشيخ بن أن بتاريخ: 28/07/2015.

(2)- يرى الباحث: Thomas Whitcomb أن الصفحة رقم: 1 هي بداية العمل، وذلك محل نظر باعتقادنا لعدم اشتمالها على أبسط العناصر المتعارف عليها في بدايات الأعمال المشاكلة، كاليسلمة، والحمدلة وغيرها، بل كانت بدايتها: (. ومما ذكر ابن خلدون...) وهو ما لا نرى أن يكون بداية لعمل كهذا، واعتقادنا أن أجزاء من هذا المؤلف ما زال مفقودة. كما رجح وايتكومب اتصال الصفحات رقم: 7، 8، 17، 18، 11، 12، وتوقف عن ترتيب البقية، وهو معذور في ذلك لاعتماده على نسخة واحدة لم تسلم معظم صفحاتها من خرم الأطراف العلوية منها والسفلى، للمزيد انظر: (Th) Thomas Whitcomb "New evidence on the origins of the Kounta" B.S.O.A.S. XXXVIII, 1975, Part I, Part II, 81.

وقد فصلت في بعض المسائل التي أغفلتها المصادر المحلية كإمارة ابْدُوْكَوْل وأصولها وفروع اتحاديتها، كما تحدثت عن مملكة في تزغت⁽¹⁾ قرب ولاتة بالشرق الموريتاني الحالي فكانت بذلك وثيقة شبه نادرة حوت نُبْدًا مختلفة عن تاريخ الفتح الإسلامي، وأخبار البربر وأصول صنهاجة، وأوائل الكنتيين وأبناء حسان وبعض أماكن استقرارهم..

III. المحور الثالث: المضامين

أولاً: مصادر التأليف ومحاورة

حوى المؤلف نصوصاً دُونت خلال مراحل تاريخية مختلفة، وكان أقدمها النص الذي نقله أحمد بن الحاج الرقادي، من خط قديم لجده الخامس الشيخ سيدي أحمد البكاي (توفي حدود 1514/920م) وزاد عليه من بعض النقول والروايات الشفاهية الشائعة - كما يقول - ونقل عن ابن خلدون وابن الكلبي، والعماد الأصبهاني وغيرهم. ورغم أن المؤلف لم يقسم النصوص التي جمع في تأليف إلى أبواب وفصول إلا أن احترامه لتسلسل الأحداث التاريخية التي تناولها، وطريقة عرضه للمضامين جعلتها من الناحية الزمانية والموضوعية تنقسم إلى ثلاث كتل رئيسية وتحتها مجموعات أصغر تتعلق بأنساب فرعية استهل **القسم الأول** منها بنقل مباشر-في بعض الأحيان- من كتاب: العبر لابن خلدون. وفيه عرض أخبار البربر قبل الفتح الإسلامي ومن بعده إلى ولاية بني الأغلب، مستعرضاً حملات الفتح الإسلامي لشمال إفريقيا، وجهود بعض قادته كعقبة ابن نافع الفهري، وموسى ابن نصير، ولم يهمل ثورات البربر، وقادتهم بل تطرق لأصولهم وبعض مواطنهم. وهو ما يمكن اعتباره مقدمة وتمهيداً موضوعياً للحديث عن تاريخ وأنساب سكان هذا الفضاء، وفي **القسم الثاني** وردت أسماء وأنساب أمهات البكاي وجداته لأبيه بالإضافة إلى أنساب بعض القبائل وأصولها ومجالها الجغرافي، واستهل **القسم الثالث** بنسب إبراهيم عليه السلام والحديث عن ربعة ومضر وفضائل قريش وبعض فروعها، ثم تحدث عن أنساب بني حسان وهجرتهم. وأرخ في **الجزء الأخير** لبعض أجداده وفروع مجموعته.

ثانياً: دواعي التأليف:

يسرد الشيخ سيدي أحمد البكاي أسماء بعض آبائه وأجداده ويستطرد بإسهاب أسماء وأنساب أمهاته وجدّاته لأبيه، ويتتبع صلاتهم القرابية حتى كاد يربطهم بمعظم القبائل الموجودة بالصحراء، بل نقل عن أبيه القول بأن (جميع من في محلّه من الناس غير السودان له معهم رحم)⁽²⁾ وهي إشارة بالغة الدلالة في حصر صلاتهم القرابية وربما الروحية إذ ذاك

(1)- تزغت: تحريف (تازّخت): القرية المعروفة قرب ولاتة. كانت في مرحلة لاحقة دار علم وسلطة حتى خربها أولاد بونس. راجع: الحسوة البيسانية: 118/117.

(2)- ورد ذلك في الفقرة التي ظهرت في نسخة أهل الشيخ ولد أنّ وضاعت من نسخة بو الأعراف بين الصفحة 8 والصفحة 17 بترقيم مركز أحمد باباه التنبكتي.

في مكونات بعينها، الأمر الذي سيتغير لاحقا مع الجيل الأول من أبناء الشيخ سيدي أحمد البكاي.

لا يمكننا الجزم بأن الدافع الرئيسي للتأليف كان السعي لحفظ الأنساب، إذ لم يستعر الاشتغال بتلك المباحث آنذاك، وقد كان المؤلف يزهد أبناءه في الاهتمام بالأنساب ويحثهم على الاعتناء بالأرحام.

فهل انتبه مبكرا لقيمة القرابة في المجتمعات الانقسامية فاعتنى بها على ذلك الأساس؟ أم أن الأمر لا يعدو كون سلاسل الأمهات احتلت مركز الأنساب الصحراوية سواء لصنهاجة أو للأسر العربية المتصنّجة واختلطت سلاسل نسب الأمهات (الأخوال) بنسب الآباء من العرب وصارت مطردة في الكثير من سلاسل الأنساب الصحراوية لاسيما بين معظم قبائل الزوايا "العربية" أو "المتعربة"⁽¹⁾.

ليس باستطاعتنا الآن إثبات ذلك أو عكسه، كما لا يمكننا نفي الصلة بين التأليف في هذه الأغراض والاهتمام الشديد بالأرحام الذي عبر عنه مؤلفها في الوصايا التي ترك لأبنائه، وكان يحثهم فيها على الحرث في المعادن الطيبة، ويذكرهم بما كان عليه آباؤهم من اختيار صالح كل قوم وخير كل قبيلة⁽²⁾ ويبين أن المعادن الطيبة في كل قوم، وأن الروابط والصلات والصحة أرحام قطع الله من قطعها ووصل من وصلها⁽³⁾.

على كل حال تؤكد هذه النصوص ما جاء في الوصايا من أن معظم آباء جداته وجدات أبيه كانوا قضاة ورجال علم وزعماء لمجموعات أو مؤسسين لبطون منها⁽⁴⁾. فهل يكون عضد وصاياه تلك بتأليف هذه النصوص؟

أسباب تأليفها عموما غير معروفة لدينا حتى الآن، وقد ذيلها أحمد بن الحاج عبد الله الرقادي كما ذكرنا سابقا بنصوص له ولغيره فجمع بذلك نبذاً مختلفة عن تاريخ الفتح الإسلامي، وأخرى عن أنساب البزير وأصول صنهاجة وبعض فروعها، وأنساب بني حسان وأماكن استقرارهم، ولم نظفر بعد بما يؤكد أو ينفي الصلة بين اهتمامه المبكر هو الآخر، بتواريخ البيضان وأماكن استقرارهم، وأخذ مطبوعا بالإعفاء من المطالب السلطانية لعشيرته ومن يليه من القبائل من لدن المولى إسماعيل.

(1)- يمكن الرجوع للنسب العالي لبعض تلك المجموعات ونقصد بالنسب العالي ما فوق الجد 13 على أبعد تقدير، وقد تركنا التمثيل على ذلك عمدا.

(2)- وصايا الشيخ سيدي أحمد البكاي، ص4

(3)- "وصايا الشيخ سيدي أحمد البكاي، م، ن ص4.

(4)- فأم أبيه سيدي محمد لكتني مثلا بنت محمد ألم (العالم) وهو رئيس ابدوكل كما يصرح البكاي في الورقات التي وجدت بخطه وإحدى جداته بنت محمد أمغار وأمغار معناها الزعيم (توماس وايتكومب، م، س) ومحمد هذا هو الزعيم المؤسس لبطن: أولاد امغار، أو: امغارن، من قبيلة أو ابدوكل الصنهاجية الوارد ذكرها في نسخة الزويره (. وابدوكل منهم: ايدغموسة وأولاد عثمان، وأولاد الحسن وأولاد امغارن.)) ويمكن استطراد العديد من الأمثلة.

وفي المحصلة يبدو أن هذه كانت محاولة لتأليف شامل في تاريخ هذا الفضاء ابتداء من فتح شمال إفريقيا وحتى وصول الهجرة الحسانية حيث رصدت بعض الأحداث ورسمت ملامح البنيات الاجتماعية القائمة آنذاك قبل تفككها أو تراجع دورها لصالح فئات أخرى.

رابعاً: الخريطة الديمغرافية

تمثل دراسة الأنساب جزءاً هاماً من فهم التركيبة الاجتماعية والتاريخية لأي مجتمع، سيما في مجتمعاتنا العربية والإسلامية، حيث يتداخل البعد القبلي والنسب العائلي مع الأدوار السياسية والدينية.

وفيما يخص المجتمع الموريتاني خلال القرنين 15 و16 تشير هذه الوثائق إلى أن الأنساب مثلت أساساً لبنية المجتمع وتحديد الهويات، مما يؤكد أن مثل هذه الوثائق قد يساهم في الكشف عن التحولات الاجتماعية والسياسية التي شهدتها المنطقة خلال تلك الحقبة.

ولعل من أهم ما جاء في هذه النصوص عن القبائل والمجموعات ما يلي:
أ- صنهاجة:

تحدث عن أصول صنهاجة الصحراء وبعض أماكن استقرارهم، وقدم أول إشارات مكتوبة مفصلة عن قبائل الشوكة التي أسست إمارة ابْدُوكْل، الصنهاجية أواخر النصف الأول من القرن السابع الهجري وقسمها إلى أربعة بطون كبرى:

- **إدغموس:** ومنهم جميع قبائل لادم، وأولاد بشركين، وأولاد دين الله، وأولاد الدربزاني.
- **أولاد عثمان بن أجنف:** منهم أولاد اللوم في (جهة) البحر، ومنهم أحمد بن هيت وإخوته.
- **أولاد الحسن:** منهم باب علي بن محمد ومنهم عبد الله بن الهادي وباقيهم في (جهة) البحر.
- **أولاد أمغارن:** منهم أولاد محم [الكبير]، وأحمد المعلوم بن عمر، وسيدي أحمد بن عثمان وأخوه.

ومنهم أنورت، وأغمثال، وأولاد الحاج يشري المنحدرين من أمغار، وإيدغموس وغيرهم. ولم يهمل بعض القبائل المهمة في تاريخ الصحراء مثل: تجكانت وإيدوالحاج وغيرهم.

ب- كُنْتَه:

تحدث عن أنساب كُنْتَه، وذكر أن الشيخ سيدي أحمد البكاي كان يُعرض عن الخوض في الانساب وزهد فيها، وحين سألته بعض أبنائه عن نسبهم أخرج لهم قصعة ودواة وقلما وقال هذا نسبكم من تمسك به فقد حافظ على نسبه ومن تركه فقد ضيع نسبه، ثم تحدث عن سرديّة الأفراد وتبسط في تفريعاتهم بعد ذلك وبعض مناقبهم التي نقل عن بعض أكابر إيدوالحاج، وبنى انتماءهم لقريش على ما رواه عن أبيه سيدي الحاج عبد الله عن والده سيدي أحمد بن سيدي محمد الرگاد، وحدث به غير واحد عن سيدي أحمد أيده القاسم إمام وادان. ثم استعرض هو الآخر خؤولاته من معظم القبائل المقيمة في حيزه.

ج- الأنصار:

ورد في المؤلف ذكر العديد من القبائل الأنصارية مثل إيدر مشاكة وفي ذلك يقول: "وأما إيدر مشاكة فأصلهم من قرية تزغت ولات[ه] تعرف بقرية الأنصار حين فتح الصحابة

```

graph LR
    A[إبدر مشاكه واسمه حم] --- B[حم]
    B --- C[مسعود]
    C --- D[علي]
    D --- E[محمد]
    E --- F[علي]
    E --- G[أحمد]
    E --- H[عمر]
    E --- I[عبد الله]
    F --- J[أحمد]
    F --- K[زهرهون]
    F --- L[علي]
    G --- M[الحاج عثمان]
    G --- N[الحاج عبد الله]
    G --- O[المختار]
    H --- P[أبو عمر]
    H --- Q[الحاج محمد]
    I --- R[بنات]
  
```

ذكر بأن: ((حسان بن موسى بن أحمد بن اسعيد بن مختار بن معقل بن عقيل بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم جد رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأما تعريف ابن خلدون لحسان فهو حسان بن مختار بن محمد ابن معقل ابن عقيل بن مذج ابن حمير ابن يحيى بن علاف بن عوف بن امرئ القيس ابن بهنة ابن سليم)) متحدثاً

32

عن أصول بني حسان وبعض فروعهم، مستعرضا العديد من أسماء الأشخاص والقبائل الأخرى التي انقرضت ولم تعد موجودة اليوم إلا إذا كانت بأسماء أخرى مغايرة. وقد لاحظنا أن النص الذي اعتمد عليه العالم المؤرخ صالح بن عبد الوهاب الناصري، في كتابه الحسوة البيسانية في علم الأنساب الحسانية، قد يكون جزءا من هذه النصوص وليس ذلك بضائره تأكيدا بل كان دليلا على دقته في النقل وأمانته في العزو فقد استهل كتابه بالقول: **((وذلك أني وقفت على كتابة صحراوية في حاشية نسخة من كتاب ابن خلدون؛ وليست من الأصل؛ فيها ما نصه: أولاد حسان خمسة: عبد الرحمن بن حسان جد الرحامنة، وأحمد المعروف بـ"أودي بن حسان أبو المغافرة، ودليم بن حسان، وحمو بن حسان أبو البرابيش، ولم يذكر الكاتب الخامس ثم قال: فولد أودي ثلاثة: عروق بن أودي ورزق بن أودي ومغفر بن أودي (..) إلى أن قال: وأولاد حومه وهم أولاد أحمد بن كروم والگاوصي بن كروم⁽¹⁾....))**. وكروم وما بعدها مما نقله ابن عبد الوهاب تمكن قراءته بوضوح في الصفحة رقم: 3 من هذا المؤلف، مع توافق كبير في المضامين وصل حد التطابق في كثير من الأحيان، وما ذهب إليه توماس وايتكومب (Whitcomb) من ضياع الصفحة رقم: 2 من هذا المؤلف يزيد من احتمالية ما ذهبنا إليه، وهو ما نكاد نجزم به بعد المقارنة بين عدد كلمات نص ابن عبد الوهاب من بدايته إلى: كروم وقد بلغت: 202. وعدد الكلمات الواردة في الصفحة رقم: 3 من هذا المؤلف، بدءا من: كروم إلى نهاية النص وقد بلغت 207. وهو ما يعني أن الصفحة رقم: 2 التي يفترض وايتكومب (Whitcomb) أنها ضاعت من هذا المؤلف إن كانت بنفس الخط والحجم فستكون بقدر النص تماما.

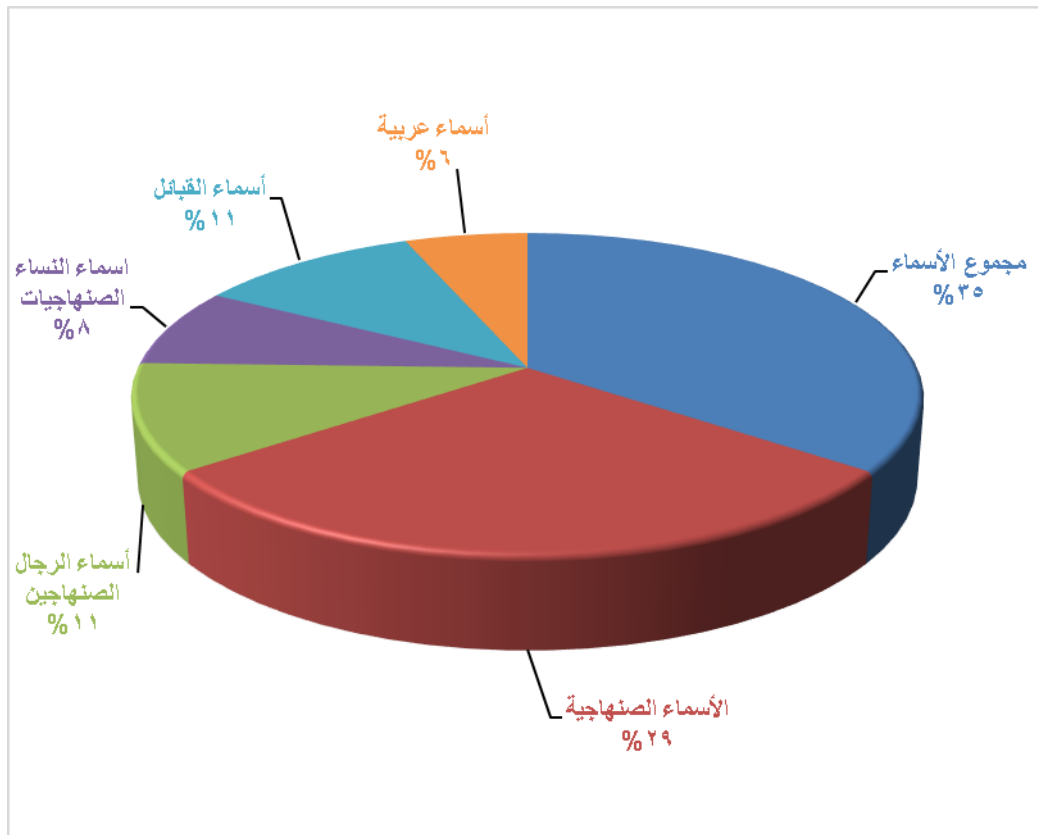
وفيما يلي شجرة أولية بذرية حسان وضعناها من خلال الجمع بين النصين، وقد جعلنا الأسماء التي ظهرت في النص المنقول بالحسوة فقط، في دوائر حمراء، والتي ظهرت بهما معا في دوائر سوداء، والتي ظهرت بهذا النص فقط، في دوائر خضراء، فسُدت بذلك الفراغات من خلال الجمع بين النصين، وظهرت بعض الحلقات المفقودة واتضحت بعض معالم شجرة النسب الحسانية، ولم تتجاوز الزيادات المتبادلة بين النصين الجيل الثامن بعد عثمان بن مغفر بن أحمد (أودي) بن حسان، في إشارة أخرى لا تخلو من دلالة.

(1)- الحسوة البيسانية في علم الأنساب الحسانية، تحقيق: د. حماد الله ولد السالم، بيروت: دار الكتب العلمية، 2015، صص: 67-68.



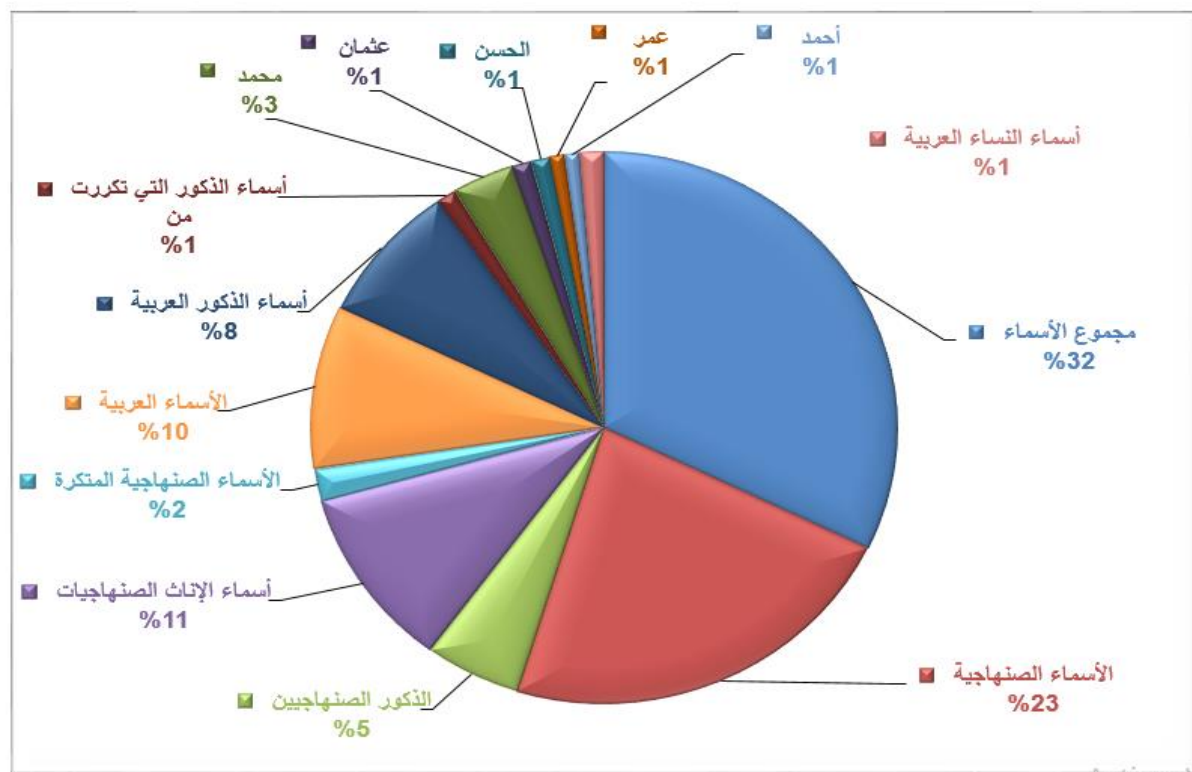
خامسا: الأعلام البشرية محاولة استقراء

إن إمعان النظر في نصوص هذه المرحلة قد يثير العديد من الملاحظات وخاصة فيما يتعلق بقرابات الشيخ سيدي محمد الكنتي الذي عاش في القرن 14 وابنه الذي عاش في 15 ومنها على سبيل المثال لا الحصر تمايز النسب بين الأسماء العربية والصنهاجية، خلال جيلين وحسب الأزمنة والأمكنة ربما؛ حيث نلاحظ أن الأسماء العربية تشكل نسبة ضئيلة جدا في الجزء المتعلق بخوولات سيدي محمد الكنتي الذي عاش في القرن 14 ولا تتجاوز نسبة 6% وهي إلى جانب اسم جده لأمه محمد ألم أسماء أربعة من أجداده لأبيه، أما البقية فهي أسماء صنهاجية.



أما حين ننتقل إلى قرابات الشيخ سيدي أحمد البكاي الذي عاش في القر 15 فنلاحظ أن الأسماء العربية أصبحت تمثل نسبة 10%، أي زيادة 4% في المائة وهي زيادة ستبقى في اطراد حسب أزمنة تدوين النصوص ومجالاتها.

كما نلاحظ - من حيث النوع- تمايز نسب أسماء الذكور والإناث في المرحلتين حيث أن نسبة ذكر الأسماء من الجنسين متقاربة جدا في قرابات سيدي محمد الكنتي (ق 14) فأسماء الرجال تمثل نسبة 11% أما الإناث ف 8% وستتغير هذه النسب فيما يتعلق بابنه سيدي أحمد البكاي الذي عاش في القرن الـ15 حيث ستمثل أسماء النساء نسبة 11% وأسماء الذكور 15% منها 10% بالعربية و5% فقط أسماء صنهاجية في تراجع واضح لصالح الاسماء العربية، وحضور قوي للاسم المذكر على حساب الاسم المؤنث كما نوضح في الرسم البياني التالي:



5% أسماء الذكور	11% أسماء الإناث	23% الأسماء الصنهاجية:
8% أسماء الإناث	1% أسماء النساء:	10% الأسماء العربية:

الخاتمة:

الخلاصة أن هذا المؤلف وما حوى من وثائق نادرة تعود لفترة غياب وصمت المصادر المحلية، قد تضمن معلومات تاريخية كما رأينا، وإشارات جغرافية ومعطيات ديموغرافية، لا تساهم في رصد مراحل التحول من العصر الصنهاجي إلى العصر الحساني فحسب، بل ترسم بعض ملامح مجتمعات القرنين 15 و 16م، كما تبين أغراض واتجاهات الكتابات المبكرة في موريتانيا، إذ هو أقدم تأليف محلي -تم اكتشافه حتى الساعة - يتطرق لمثل هذه المواضيع.

والذي لا مرأى فيه أن المدونة الواردة به مكنت كذلك من تحديد مواقع بعض المجموعات، وتاريخ وجودها في المجال الموريتاني، ففي أقصى شمال البلاد حيث مضارب أخوال الشيخ سيدي محمد الكنتي الكبير (ق14م) رصدت الوثيقة المتعلقة به العديد من القبائل، وفي وسط البلاد وغربها ترصد مجموعات أخرى من خلال خوؤلات ابنه الشيخ سيدي أحمد البكاي (ق15م) كما أفصحت عن تاريخ وجود العديد من القبائل في موريتانيا قبل هجرتها منها، وذوبان بعضها أو تحور أسمائه، ومنها قبائل ما تزال بنفس أسمائها الواردة في الوثيقة لكنها انتقلت جزئيا أو كلياً إلى بعض دول الجوار⁽¹⁾.

ولا شك أن دراستها المعمقة قد تقدم الجديد عن مسار التعرب عموماً، وتعرب أسماء أعلام الأماكن والأشخاص والمجموعات بوجه أخص، كما ترصد مراحل تراجع حضور اللسان الصنهاجي في تلك الأسماء، أو تؤرخ لمراحل تحورها. ويمكن تتبع ذلك أيضاً من خلال سلاسل الأنساب التي كتبت بعد ذلك، وإن اختلفت مضامينها وأغراضها باختلاف مراحل تدوينها وكتابتها، في الفضاء الموريتاني عموماً، ما قد يعود لأسباب تاريخية تتعلق بتطور الحياة الثقافية والاجتماعية منذ الفترة الحسانية، ولسنا هنا بصدد الخوض في أسباب ذلك الانتقال أو التحول من الاهتمام بالأنساب والأسماء الصنهاجية إلى العربية، إذ لا يتسع المقام لذلك وربما نتناوله مستقبلاً بصورة مستفيضة ومعقدة.

(1) - مثل قبائل: ياشم، تكرنت، وكل انصر.. وغيرهم.

نماذج من النسختين المتوفرتين حتى الآن

1 نسخة أهل الشيخ ول أن



2- نسخة مركز أحمد بابا التبكي

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر المخطوطة

1. الشيخ باي بن سيدي عمر بن سيدي محمد الخليفة "تاريخ الشيخ باي" بحوزتي صورة منه.
2. الشيخ سيدي أحمد البكاي الوصايا (مخطوط). نسخة شخصية.
3. الشيخ سيدي المختار الصغير بن الشيخ سيدي محمد الخليفة: رسالة إلى الأمير أحمد بن محمد بن أبي بكر جواب عن ستة أسئلة فقهية، المخطوط رقم: (ح14ب) بالمكتبة الوطنية الجزائرية
4. الشيخ سيدي المختار الكنتي الكبير "كتاب المنة" مخطوط. بحوزتي صورة منه
5. محمود بن محمد دب بن المرحوم فراج سيدي الأرواني التبتكتي، معلومات عن خزنة أسرة بو الاعراف، (مخطوط). بحوزتي صورة منه.

ثانيا: المصادر والمراجع المطبوعة:

1. ابن طوير الجنة (الطالب أحمد): تاريخ ابن طوير الجنة، تحقيق: د. سيدي أحمد ابن الأمير، الرباط، مطبعة المعارف، 1995م.
2. الكنتي (سيدي محمد الخليفة): الرسالة الغلاوية، تحقيق ودراسة الدكتور: حماد الله ولد السالم، بيروت، دار الكتب العلمية، 2013.
3. _____: الطرائف والتلائد من كرامات الشيخين الوالدة والوالد، تحقيق عابدين بن باب أحمد بن حم لمين، المعهد الموريتاني للبحث العلمي، 1994م.
4. مارتني (بول): كنته الشرقيون، تحقيق وتعريب محمد محمود ودادي، دمشق، مطبعة زيد بن ثابت، 1885م.
5. محمد الصغير ليفرني: روضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف. تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، الرباط، المطبعة الملكية، ط2، 1995
6. الناصري الولاتي (محمد صالح بن عبد الوهاب): الحسوة البيسانية في الأنساب الحسانية، تحقيق: د. حماد الله ولد السالم، بيروت: دار الكتب العلمية، 2015.
7. ولد سيدي احمد (يحيى): ديوان الصحراء الكبرى، المدرسة الكنتية، دار المعرفة الجزائر، 2009.
8. ويثكومب (توماس): "الشاهد الجديد على أصول كنته"، تعريب: محمد محمود ودادي. مرقون.